مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٣/١٢/٦

مشـــهد مـن الحـــرب

مواقعهم ــ أحيانا ــ فى أرض لم تطأها قـدم بشر من قبلهم ! ... أطلق موشى ديان عليهم ــ وهو يعطى الطيارين الاسرائيليين وعدا بتدميرهم ــ اسم الحزام الاســود !! ... وهم فى مواقعهم ــ الموحشة أحيانا ــ لا رقيب عليهم سوى لوحات كتبوا عليها بكل ما فيهم من ايمان « عينان لا تمسهما النار يوم القيامة .. عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله »

حـــزام الـــرادار .. البشـــرى !

الان .. نستطيع ــ بالعناصر الاليكترونية ــ أن « نرى » الطائرات على بعد مئات الكيلومترات بواسطة أجهزة الرادار ، وأن « نسمع » أصوات الغواصات على أعماق سحيقة تحت سطح الماء بواسطة أجهز «السونار» ، وفى مجال « السمع » تدخل أيضا وسائل الاتصال اللاسلكى بأنواعها المختلفة والتى تعتبر العصب الرئيسى للمعركة الحديثة .

ومع ذلك ــ بل .. مع ما هو اكثر من ذلك .. فهناك أجهزة للاستشعار [اللمس] وأخرى قادرة على « الشم » ــ كانت هناك دائما ثغرة خطيرة عانينا منها أشد العناء فى حرب يونيو ١٩٦٧ وتلافيناها بنجاح سحيق فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

تتمثل تلك الثغرة فى قدرة الخصم على اعاقة وخداع أحدث الاجهزة الاليكترونية ــ ويتم ذلك فى معظم الاحيان من طريق مايسمى فنيا **بالاجراءات الاليكترونية المضادة** ، وغالبا ما تنحصر هذه الاجراءات فى عمليات « الشوشرة » على أجهزة الخصم الاليكترونية فتحول تماما بينها وبين قدرتها على « الرؤية » أو « السمع » أو « الاستشعار » وتجعلها أجهزة صماء عاجزة عن فهم أو ادراك ما يجرى حولها .

الرادار الاعمى

وفى حالة الرادار مثلا تصبح الاجهزة « عمياء » لا ترى الموجات المتدفقة من طائرات العدو التى تحلق فى مداها ، أو حتى فوقها مباشرة ، متجهة الى ضرب أهدافنا .

وقد حدث هذا فعلا فى حرب يونيو ١٩٦٧ بعدة وسائل :

● عن طريق عمليات الاعاقة والشوشرة التى قامت بها سفينة التجسس الامريكية **ليبرتى** أو أى وسائل اعاقة اليكترونية أخرى أمريكية كانت أو اسرائيلية .

● قيام طائرات العدو الاسرائيلى بالتوغل داخل مجالنا الجوى على **ارتفاعات منخفضة جدا [حوالى ٣٠ مترا من سطح الارض]** الامر الذى يجعل من الصعب على اى جهاز رادار أن يكشف ـ ان كان قد استطاع أصلا أن ينجح فى تلافى عمليات التشويش والاعاقة ـ الطائرات المغيرة وذلك لاسباب فنية تتعلق عموما **بطبيعة انحناء سطح الكرة الارضية علاوة على وجود معالم مختلفة فوق سطح الارض مثل الجبال والاشجار والمبانى المرتفعة التى تعوق جميعا الكشف الرادارى الجيد على الارتفاعات المنخفضة .**

لا يمكن ان تتكرر

من هنا نجحت الطائرات الاسرائيلية فى عام ١٩٦٧ أن تخترق مجالنا الجوى وتوجه ضربتها دون أن يرد عنها أى نوع من « الانذار » فكانت المفاجأة كاملة .

ومن هنا أيضا ـ كما يقول احد المسئولين ـ لم نكن على استعداد أن نسمح مرة أخرى بوقوع ما سبق أن وقع لاى من الاسباب .

واذا كان العدو قد استغل قصور أجهزة الرادار عن الكشف المنخفض علاوة على امكانية التشويش عليها **فيجب أن يكون هناك وسيلة انذار بديلة وأكيدة فى نفس الوقت تنبه عناصر الدفاع الجوى الضاربة بتوغل طائرات العدو داخل أراضينا وتمكن هذه العناصر المختلفة [الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات والمقاتلات الاعتراضية] من التعامل مع طائرات العدو ومنعها من تحقيق مهامها .**

ابطال بلا اضواء

وقد كان أن أحطنا كل شبر من أراضينا وعلى أبعد ما يمكن من مناطق حدودنا **بنقط مراقبة بالنظر** يتناوب فيها عدد من الرجال مراقبة الجو بالعين المجردة ونظارات الميدان بحثا عن أى طائرات للعدو تقترب من أى اتجاه وبأى عدد وعلى أى ارتفاع .

وانتشرت هذه النقط فى اتساق وسياجات وغطت كل رقعة من اراضينا فى مناطق معظمها موحش .. ربما لم تطأها قدم بشر من قبل .

وظل هؤلاء الرجال المجهولون رابضون فى مواقعهم ليل نهار ولسنوات طويلة بطيئة ينظرون الى السماء بحثا عن طائرات العدو التى تحاول التوغل داخل أراضينا .

والحقيقة أن هذا الاسلوب لم يكن جديدا فى الفكر العسكرى فقد كان الانجليز يعتمدون على هذه الوسيلة للانذار اثناء « معركة بريطانيا » عندما قامت المانيا الهتلرية بشن غاراتها الجوية المكثفة على الجزر البريطانية ، وكان اختراع الرادار وقتئذ مازال فى مراحل التطور الاولى .. واستطاع رجال المراقبة بالنظر البريطانيون أن يوفروا انذارا فعالا لوطنهم .. مكن بريطانيا من الحاق خسائر فادحة بأقوى سلاح جوى عرفه العالم فى ذلك الوقت .

الحزام الاسود

اما بالنسبة لمصر خلال عمليات اكتوبر ١٩٧٣ فكان الجديد فى الاعتماد على نظام المراقبة بالنظر هو العودة

الى استخدامه جنبا الى جنب مع أحقد أجهزة اليكترونية فى تاريخ الحروب ، **وقد كان هـذا النظام رائعا حتى ان موشى ديان وزير الدفـاع الاسرائيلى وعد طياريه قبل معارك الاستنزاف بانه سيدمر لهم هذا « الحزام الاسود »** [يقصد نقط المراقبة بالنظر المصرية] التى قضت على أى أمل للطيـارين الاسرائيليين فى أن يتوغلوا داخـل اراضينا وينفلتوا من العقاب .

صحيح ان مدى النظر بالعين المجردة لا يقارن بالنسبة لمدى الكشف بواسطة أجهـزة الرادار ولـكن **عيون البشر لا يمكن خداعها بالاجهزة الاليكترونية كما انها مرنة لا يحد من قدرتها ارتفاع او انخفاض حتى لو كانت الطائرات المغيرة « تزحف زحفا » على سطح الارض ، ومع ذلك ـ كما يقول احد هـؤلاء الرجال ـ فان وحـداتنا الرادارية موجودة وتغطى كل مجـالنا الجوى بكفاءة مذهلة ولكننا أردنا ان نؤمن أنفسنا ضد اى « بدع اليكترونية » او تكتيكات جوية حديثة فالمسالة بالنسبة لنا هذه المرة كانت حياة أو موت .**

والى جانب النجاح الساحق لشبكة المراقبة بالنظر فى التبليغ عن طائرات العدو التى وصلت الى **آلاف البلاغات** خلال الفترة التى استغرقتها عمليـات اكتوبر ١٩٧٣ ، فان التجربة العملية جاءت بنتائج عديدة :

● قيامهم مثلا بالتبليغ عن عـدد وأنواع الطـائرات المعادية التى يتم تدميرها . وتحديد أماكن سقوطها .

● قيامهم مثلا بالتبليغ عن الطيارين الاسرائيليين الذين يتمكنون من القفـز « بالباراشوت » عقب اصابة طائراتهم بجانب تحديد أماكن هبوطهم والمساعدة فى أسرهم .

● قيامهم مثلا بالتبليغ عن رجال الضفادع البشرية الاسرائيليين الذين حاولوا القيام بعمليات تخريبية على سواحلنا ، بجانب مسـاعدتهم فى اجهاض هذه المحاولات .

● قيامهم مثلا بالتبليغ عن عمليات التسلل البرى من جانب العدو وتحديد حجم وأماكن التسلل .

● قيامهم مثلا بالتبليغ عن القطع البحـرية المعادية التى تقترب من سواحلنا .

● قيامهم مثلا بتدمير عدد غير قليل من عربات العدو المدرعة التى كانت تقترب من مواقعهم ، فكان أفراد الموقع يتركون زميلا لهم يراقب السماء ويتجه باقى الافراد للتعامل مع مصفحات أو أفراد العدو .

بلا رقيب !

لقد سجل هؤلاء الرجال لانفسهم انتصارات باهـرة مع العدو الجوى والبرى والبحرى وقدموا مسـاعدات هائلة لجميع افرع قواتنا المسلحة ، ولانهم بعيدون عنا فى الجبال والصحارى والوديان فهم بعيدون أيضا من الاعلام والشهرة والاضواء ، ولكن اعمالهم ورجولتهم تدفعهم دفعا الى مكانة متقدمة .. وتبقى بعد ذلك **ملحوظة واحـدة لمسناها فى كل موقع لهؤلاء الرجال ، لم يكن هناك رقيب عليهم فى هـذه الاماكن الموحشة بين الارض والسماء اللهم الا لوحة مكتوب عليها : « عينان لا تمسهما النار يوم القيامة .. عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله »** ■